والدول عما نهيتم عنه من رفع الصوت بل عليكم ان لا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم وان تعمدوا في
مخاطبته القول اللين المقترب من الهمس الذي يضاد الجهر كما تكون مخاطبة المهيب المعظم
عاملين بقوله عز اسمه وتعزروه وتوقروه وقيل معنى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض
لا تقولوا له يا محمد يا احمد وخاطبوه بالنبوة قال ابن عباس لما نزلت هذه الاية قال ابو بكر رضي الله
عنه يا رسول الله والله لا اكلمك الا السرار او اخا السرار حتى القى الله وعن عمر رضي الله
انه كان يكلم النبي صلى الله عليه كاخي السرار لا يسمعه حتى يستفهمه وكان ابو بكر اذا قدم على
رسول الله وفد ارسل اليهم من يعلمهم كيف يسلمون ويامرهم بالسكينة والوقار عند رسول
الله وليس الغرض برفع الصوت ولا الجهر ما يقصد به الاستخفاف والاستهانة لان
ذلك كفر والمخاطبون مؤمنون وانما الغرض صوت هو في نفسه والمسموع من جرسه
غير مناسب لما يهاب به العظماء ويوقر الكبراء فيتكلف الغض منه ورده الى حد
يميل به الى ما يستبين فيه المامور به من التعزير والتوقير ولم يتناول النهي ايضا رفع الصوت
الذي لا يتاذى به رسول الله وهو ما كان منهم في حرب او مجادلة معاند او ارهاب عدو وما
اشبه ذلك ففي الحديث انه قال عليه السلام للعباس بن عبد المطلب لما انهزم الناس يوم حنين
اصرخ بالناس وكان العباس اجهر الناس صوتا يروى ان غارة اتتهم يوما فصاح العباس
يا صباحاه فاسقطت الحوامل لشدة صوته وفيه يقول نابغة بني جعدة زجر ابي عروة
السباع اذا اشفق ان تختلط بالغنم زعمت الرواة انه كان يزجر السباع عن الغنم
فيفتق مرارة السبع في جوفه وفي قراءة ابن مسعود لا ترفعوا باصواتكم والباء مزيدة
محذو بها حذو التشديد في قول الاعلم الهذلي رفعت عيني بالحجاز الى اناس بالمناقب
وليس المعنى في هذه القراءة انهم نهوا عن الرفع الشديد تخيلا ان يكون ما دون الشديد مسوغا
لهم ولكن المعنى نهيهم عما كانوا عليه من الجلبة واستجفاؤهم فيما كانوا يفعلون وعن
ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وكان في اذنه وقر وكان جهوري الصوت وكان
اذا كلم رفع صوته وربما كان يكلم رسول الله فيتاذى بصوته وعن انس ان هذه الاية لما نزلت
فقد ثابت فتفقده رسول الله فاخبر بشانه فدعاه فسأله فقال يا رسول الله لقد

لقد نزلت اليك هذه الاية واني رجل جهير الصوت فاخاف ان يكون عملي قد حبط
فقال له رسول الله لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة واما ما
يروى عن الحسن انها نزلت فيمن كان يرفع صوته من المنافقين فوق صوت رسول الله
فمحمله والخطاب للمؤمنين على ان ينهى المؤمنون ليندرج المنافقون تحت النهي ليكون
الامر اغلظ عليهم واشق وقيل كان المنافقون يرفعون اصواتهم ليظهروا قلة مبالاتهم به
فيقتدي بهم ضعفة المسلمين وكاف التشبيه في محل النصب اي لا تجهروا له جهرا
مثل جهر بعضكم لبعض وفي هذا انهم لم ينهوا عن الجهر مطلقا حتى لا يسوغ لهم الا ان يكلموه
بالهمس والمخافتة وانما نهوا عن جهر مخصوص مقيد بصفة اعني الجهر المنعوت بمماثلة
ما قد اعتادوه منه فيما بينهم وهو الخلو من مراعاة ابهة النبوة وجلالة مقدارها
وانحطاط سائر الرتب وان جلت عن رتبتها ان تحبط اعمالكم منصوب الموضع على انه
مفعول له وفي متعلقه وجهان احدهما ان يتعلق بمعنى النهي فيكون المعنى انتهوا عما نهيتم
عنه لحبوط اعمالكم اي لخشية حبوطها على تقدير حذف المضاف كقوله تعالى يبين الله
لكم ان تضلوا والثاني ان يتعلق بنفس الفعل ويكون المعنى انهم نهوا عن الفعل الذي فعلوه
لاجل الحبوط لانه لما كان بصدد الاداء الى الحبوط جعل كانه فعل لاجله وكانه العلة
والسبب في ايجاده على سبيل التمثيل كقوله ليكون لهم عدوا فان قلت لخص الفرق
بين الوجهين قلت تلخيصه ان يقدر الفعل في الثاني مضموما اليه المفعول له كانهما
شيء واحد ثم يصب النهي عليهما جميعا صبا وفي الاول يقدر النهي موجها على الفعل
على حياله ثم يعلل له منهيا عنه فان قلت باي النهيين تعلق المفعول له قلت بالثاني
عند البصريين مقدرا اضماره عند الاول كقوله اتوني افرغ عليه قطرا وبالعكس عند
الكوفيين وايهما كان فمرجع المعنى الى ان الرفع والجهر كلاهما منصوص اداؤه الى حبوط
العمل وقراءة ابن مسعود فتحبط اعمالكم اظهر نصا بذلك لان ما بعد الفاء لا يكون
الا مسببا عما قبله فيتنزل الحبوط من الجهر منزلة الحلول من الطغيان في قوله فيحل
عليكم غضبي والحبوط من حبطت الابل اذا اكلت الخضر فنفخ بطونها وربما هلكت

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)